نزعة الشكوى والألم و أثرها في المعجم الشعري لجميلة العلايلي
دراسة وصفية تحليلية في ديوان صدى أحلامي

The phenomenon of complaint and pain and its impact on the linguistic dictionary of the poet jamila Al-Alayli
(a descriptive and analytical study in the collection of "Sada of My Dreams")

د.مرتضى بابكر أحمد عباس

كلية التربية ـ جامعة وادي النيل بالخرطوم (السودان).

البريد الإلكتروني: alfadlapi70@gmail.com

تاريخ الاستلام: 03/07/ 2024 ـ تاريخ القبول: 2024/05/17 ـ تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

ظاهرة الشكوى والشعور بالألم، سمة واضحة في شعر جميلة العلايلي، وربما كان ذلك نتاجاً طبيعياً لِما كانت تعانيه الشاعرة من ضغوط نفسية تمثلت في فقدانها لوالدتها ثم رحيل زوجها وبعض إخوانها وأصفيائها ، فضلا عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتردية التي لحقت بشعبها. ويهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى بيان أثر ظاهرة الشكوى والألم على المعجم اللغوي للشاعرة.

وقد توصلت الدراسة إلى أن التلون الدلالي يكثر في شعر جميلة العلايلي لاسيما ديوان صدى أحلامي، حيث يمكن تأويل اللفظ الواحد بمعاني عدة.

الكلمات المفتاحية: الشكوى، الألم، المعجم الشعري.

Abstract:

The phenomenon of complaint and feeling of pain is a clear feature in jamila Al-Alaylis poetry. Perhaps this was a natural result of the psychological pressures the poet was suffering from, including the loss of her mother, then the departure of her husband and some of her brothers and close friends in addition to the deteriorating political, social and economic conditions that befell her people.

Through this study, the researcher aims to explain the impact of the phenomenon of complaint and pain on the linguistic lexicon of the poet.

The study found that semantic variation abounds in Jamila Al-Alailis poetry, as a single word can be interpreted with several meanings.

Keywords: Complaint, pain, linguistic dictionary.

. مقدمة:

كان الاتجاه الوجداني والذي دعت له المدرسة الرومنسية سائدا، فعمد الشعراء إلى تصوير أحاسيس النفس والتفاتاتها، بجانب التأمل في الطبيعة والخيال.

كتبت الشاعرة جميلة العلايلي –والذي تنتمي إلى تلك المدرسة– في معظم الأغراض والموضوعات الشعرية، فجمعت بين شعر الحب والطبيعة، والتأمل والشعر الصوفي والاجتماعي والوطني والشكوى والشعور بالألم.

إلا أن نزعة الألم المترعة بالشكوى والمبرحة بالآلام والتي كانت تبثها في أشعارها لاسيما ديوانها صدى أحلامي ، لها ما يبررها من بيئة غافلة وسياسات ظالمة حانقة على المبدعين، كما تبررها نفسها الشفافة التي تستجيب لأدنى درجات الألم فتهزها هزاً عنيفاً. فيكاد لا تخلو معظم قصائدها من أصداء الألم و تمتمات الشكوى.

وقد ترك كل ذلك أثراً واضحاً في المعجم اللفظي للشاعرة جميلة العلايلي. ومن هنا كانت الرغبة الملحة لدى الباحث في بيان أثر الألم والشكوى على المعجم الشعري والدلالي للشاعرة. فكانت الدراسة بعنوان: (نزعة الشكوى والألم و أثرها في المعجم الشعري لجميلة العلايلي، دراسة وصفية تحليلية في ديوان صدى أحلام).

وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وذلك لتناسبه مع طبيعة الدراسة.

مولدها ومؤلفاتها:

ولدت الشاعرة جميلة العلايلي في العام 1907م، في المنصورة وانتقلت منها إلى القاهرة.

قالت جميلة العلايلي عن نفسها: مثلي الأعلى منذ وعيت في الأدب أديبة الشرق النابغة مي زيادة، ومثلي الأعلى في الشعر كذلك رائد الشعر الحديث ومؤسس جماعة أبوللو الدكتورة أحمد زكي أبو شادي. ورغم تأثري بهؤلاء فقد كان لي أسلوبي الخاص في كل كفاح قمت به بإلهام من الله[1].

تعد جميلة من الشاعرات السابقات إلى تأليف الدواوين الشعرية وإصدارها، حتى أنها سبقت الشاعرة العراقية نازك الملائكة بزمن إصدارها ديوان "صدى أحلامي" بأحد عشر عاماً، واستمرت العلايلي بعد ذلك بإنتاج غزير، فصدر لها:

– صدى أحلامي، صدر عام 1936م.

– صدى إيماني، صدر عام 1976م.

– نبضات شاعرة كان من المفترض أن يصدر عام 1951م، لكنه تأخر 30 عاما وصدر عام 1981م.

أما دواوينها المخطوطة، فهي:

– همسات عابدة: ديوان مخطوط.

– آخر المطاف: ديوان مخطوط.

كما كتبت أيضا العديد من الروايات الطويلة التي يمتزج فيها السرد القصصي مع الشعر. من أهمها:

– هندية.

– الراهبة.

– إحسان.

– تآلف الأرواح.

– الراعية.

– الناسك.

– جاسوسة صهيون.

– من أجل الله.

بالإضافة لإصدارها مجلة أدبية مشتركة مع زوجها بعنوان الأهداف عام 1949م[2]، والتي كانت تتناول قضايا الأخلاق والآداب والأمومة.

قال عنها محمد مندور، في كتابه "الشعر المصري بعد شوقي " بأنها شاعرة الوجدان النسائي[3]".

بينما قارن الشاعر أحمد زكي أبو شادي رائد مدرسة أبوللو الشعرية، بينها وبين الشاعرتين: الفلسطينية فدوى طوقان والعراقية نازك الملائكة، في درجة التحرر من التقاليد في أشعارهن، فقد أشاد أبو شادي بجرأتها على التعبير عن مشاعرها وعواطفها بصدق وشجاعة3 قائلا:" لكي نقدر جميلة العلايلي التقدير الذي تستحقه مواهبها، لا يجوز أن نغفل مقارنة أدبها بأدب الجيل السابق، لقد كانت شاعرات ذلك الجيل حريصات على وأد عواطفهن، فكان محرماً عليهن شعر الوجدان الفطري، وكانت العاطفة عندهن محصورة في الرثاء وتحية الأهل وتوديعهم، ولكننا في هذا الشعر الجديد نلمح ثورة جديدة على تلك التقاليد البالية، فنجد صاحبته كاشفة في اطمئنان وفي دقة وشجاعة عن دخيلة نفسها في صدى أحلامها المنغومة[4]"

توفيت الشاعرة جميلة العلايلي في الحادي عشر من إبريل من العام 1991م[5].

الشكوى والألم في الشعر العربي :

ظاهرة الشكوى والألم قديمة قدم الإنسان ووجوده على هذه الأرض، منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وهي مستمرة ولن تنتهي إلا بانتهاء العالم وقيام الساعة.

"وما دام الشعر مرآة تعكس حياة المجتمع وحياة الشعراء منذ الجاهلية وحتى عصرنا الحاضر بمختلف أنواعها الاجتماعية، والدينية، والسياسية، فإن الاهتمام بهذا الشعر وأغراضه، ونبش كنوزه ودراسته – قديماً وحديثاً– لم ينقطع يوماً بسبب مكانته العالية عند العرب، فهو " ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون".

والشكوى في الشعر غرضاً قديماً من أغراضه وإن لم تكن غرضاً مستقلاً بذاته، يرافقها الألم مبثوثاً في نفس الشاعر وبين حروفه، وفي حسرة وتوجع وانكسار، فالشعراء أفصح من يعبر عن الشكوى والألم، وعن معاناة الآخرين وأقدارهم على تصوير الهموم والأحزان ومصائب الزمان، بإحساسهم العالي وشعورهم الصادق النبيل. ولهذا نراهم دائماً يرسمون معاناتهم الذاتية والاجتماعية بأدق التفاصيل، لذلك أصبحوا مرآة صادقة لمجتمعاتهم، ونداء مبطناً بالرفض مليئاً بالألم، نداء يدعو إلى الثورة في وجه الظلم والطغاة، وانتشار الفقر والفساد في محاولة منهم لإصلاح الأوضاع وتضميد الجراح، فالكلمة كالسيف، يشهر في وجوه الظالمين، ورصاصة قد تصيب لكنها لا تخيب ظن الفقراء والمحرومين، فالشعراء لسان الأمة في كل العصور[6]".

و يحفل شعرنا العربي منذ العصور الكلاسيكية الأولى بأشعار الحزن المتمثلة في موضوع الرثاء، ولكن هذا الإحساس الحزين غلب على الشعر العربي خلال فترة الرومانسية حتى غلف موضوعاته، ويرجع ذلك إلى اهتمامهم البالغ بالتجربة الذاتية ، فبدت في شعرهم رنات الأسى والحسرة والأنين، ولكن هذه النغمات الحزينة لم تكن تعبر عندهم عن موقف خاص أو رؤية شمولية للكون بعيدة الغور، بل ظهرت في أعمالهم في صورة إحساس متناثر مبعثر وهموم خاصة ورؤية محدود ذات وجه واحد[7].

وهذه المعاناة والضياع والشعور بالاغتراب لم تقتصر على الشعراء المعاصرين فحسب، بل بلغت أقصى مدى لها لدى شعراء العصر العباسي الذي كان يحفل بشتى أنواع الإضرابات والانكسارات. وقد انعكس ذلك على نفسية الشعراء فاتسمت أشعارهم بالتشاؤم النفسي والشكوى من الدهر وبرز ذلك بدرجة كبيرة في شعر ابن الرومي وأبي العلاء المعري.

وقد جسد هذا الأخير مأساة الحزن في أشعاره، وبلغ التشاؤم النفسي لديه مبلغة. فهو القائل[8]:

سأبكي إذا غنى ابن ورقاء بهجةً***وإن كان ما يعنيه ضد الذي أعني

ونادبة في مسمعي كل قينة***تغرد باللحن البريء عن اللحن

يقول:" د.عز الدين إسماعيل في كتابه قضايا الشعر المعاصر" : إن أبا العلاء المعري قد عبر عن مأساة الوجود الذي يمتزج فيه البكاء بالغناء، أو الحزن بالسعادة. وهو من أجل ذلك يعبر عن أحزان الآخرين وإن لم يذرف دمعة[9].

ومعنى هذا أن الحالة النفسية والمعنوية للإنسان هي التي تجعله يسمع من صوت غناء الطيور بكاء، وهي التي تجعله يسمع من صوت الحمامة الغناء.

والشاعر اليوم يعيش واقعاً مختلفاً ومتغيراً، متفتتاً ومتناقضاً وهو ملزم بأن يبحث عن حلول لذلك.

يقول الشاعر صلاح عبد الصبور[10]:

يا من يدل خطوتي على طريق الدمعة البريئة

يا من يدل خطوتي على طريق الضحكة البريئة

لك السلام

لك السلام

أعطيك ما أعطتني الدنيا من التجريب والمهارة

لقاء يوم واحد من البكارة

فكل شيء في نظر الشاعر أصبح مزيفاً فالدمعة لم تعد بريئة والضحكة أيضاً فقدت براءتها وكل تجارب ومهارات الشاعر لم تعد ذات قيمة ولا تعادل يوماً واحداً بكراً.

وقد بلغ الحزن بالشاعر أبي القاسم الشابي مبلغاً بعيداً، فكره الابتسام وعذب الأماني وصار الكون أسوداً قاتماً في نظره فهو القائل[11]:

غني يا صاح، أنات الجحيم

واسقني الآلام

أترع الكأس بأوجاع الهموم

واسقني، إني كرهت الابتسام

غنني ندب الأماني الخائنة

والليالي السود

وتختلف الرؤى للواقع المعاش من شاعر لآخر ويظل الصراع بين مواجهة الذات الفردية مع نفسها وبين مواجهتها للعالم الخارجي، وتظل مشاعر الغربة والضياع (الحزن العميق) هي السمة المهيمنة على أشعارهم[12].

نزعة الألم والشكوى في ديوان صدى أحلامي.

علت الشعر النسوي المعاصر سحابة قاتمة من الحزن والألم، بدت فيها الحياة متعثرة مضطربة، تتخللها صراعات شائكة للموت والضرائر والحضارة، وأزمات النفس بين الزواج والحب والأمومة الوالدة والعقيمة[13].

وقد كان لشعر الشكوى والألم حضور طاغ عند الشاعرة جميلة العلايلي، لاسيما في مراثيها التي تعبر فيها عن حزنها بما فيه من انتفاضة حسية مباشرة ذات وجه واحد[14]، وقد كان لرحيل والدة الشاعرة ثم رحيل زوجها وبعض إخوانها وأصفيائها الأثر الكبير على شعرها.

يقول أحمد زكي أبو شادي في مقدمة ديوان (صدى أحلامي) متحدثاً عن الحزن والألم في شعر جميلة:" والحزن والألم عندها ليس موقوفاً على قصائد الرثاء عندها، بل هو مبثوث في شعرها جميعه، يعم كافة مراحل حياتها الشعرية، وتعد هذه الآلام صدى لنفسها الحساسة التي تعكس وتترجم معاناتها الذاتية، وما يدور في محيطها وبيئتها من صراع واضطهاد لأصحاب المواهب، وليست آلامها في معظمها آلاما فردية بقدر ما هي آلام شعبية تعبر عن آلام جموع من النفوس المضطربة والقلوب المتوجعة[15].

و كتب الروائي محمود البدوي معلقاً على ديوانها (صدى أحلامي) وما يحويه من شكوى وألم فقال:" ديوان صغير الحجم أنيق الشكل جيد الشعر عذبه، فيه روح الفنانة الملهمة والشاعرة المطبوعة على قول الشعر دون تكلف ولا صنعة ولا محاكاة، ولا يعيبه كثرة ما فيه من نواح وشكوى و أنين، فهذا كله لا بأس به إذا جاء من المرأة، ومن فتاة كجميلة العلايلي، فنانة بطبعها تعشق الحرية وتتعلق بالمثل العليا، وتحس بثقل البيئة الخانقة التي تكتم أنفاسها و تهيض جناحيها وتبدد في صدرها أمانيها العذاب، وفي الديوان قطع شعرية جزلة تحسد عليها، وقصيدة تديرها الشاعرة دوران القصة القصيرة، وهذا توجيه منها حسن ومقبول يحبب الشعر إلى نفوس القراء الذين انصرفوا عنه مع الأسف إلى القصة[16].

كانت الشاعرة جميلة تحمل عواطفاً قوية فياضة نحو أمها، فكم كانت تلتذ بالارتماء على صدرها الحنون، وملازمتها الطويلة منذ الصغر، وعلى قدر هذا الحب كان ألمها أشد حين اضطرتها ظروف العمل أو الزواج للبعد عنها. وكانت حينما ينال منها الألم أو المرض، لا تجد من تشكوه غير القضاء والزمان الذي قضى بفراقها والبعد عن أمها. تقول جميلة في قصيدة (إلى أمي)[17]:

وقضى زماني بالفراق تعسفاً***ما للقضـــاء أدأبـه الإرغـــام؟

وأرى الحياة بغير وجهك قفرة***فالعين تذرف والهموم جســام

وأرى الليالي موحشات جهمة***سيان عندي الضوء والإظلال

وبرحيل أمها يتفجر بركان من الأحزان، سكبت بعضه في مراثيها لها بما فيها من حرقة وتفجع وانين، وسرى بعضه الآخر في سائر شعرها، الذي تنعى فيه اختفاء الجمال، وتشكو آلام الفراق، فما عادت الأيام تعزف غير الألحان الحزينة.

تقول في قصيدة حيرة تقول[18]:

شدوت كطير يحب الرسوم

يود الحياة فيلقى الهموم

ويرجو الصفاء فيجني الهموم

سموم تدك متون الجبل

وتقول في قصيدة السجينة[19]:

أسري ولا أدري أسائرة إلى***دنيا الظلام أم الظلام نهاري

ويبلغ الألم والإحساس به عند الشاعرة للدرجة التي تشعر فيها بالحيرة فتتساءل، هل خطاها تسوقها إلى عالم من الظلام أم أن نهاره صار كليلها مظلم قاتم، فقد باتت الشاعرة سجينة حزنها فهي ضحية عالم مظلم عالم تموت فيه الأماني في مهدها.

تقول في قصيدة صدى أنفاس[20]:

فأنا الضحية فوق مسرح عالم***تبدو الأماني فيه غير أماني

وإذا الحياة كظلمة لا تنقضي***وإذا الممات نهارها المتداني

ولعل الشاعرة قد أبصرت صورتها في وجه تلك الحسناء البائسة الحزينة، فانطلقت تطلق آلامها وتبث شكواها الذاتية وتبرمها من تلك الحياة التي تقصد شاطئها قلوباً أضنتها الآلام والهموم. تقول في قصيدة الحسناء البائسة[21] :

إن الحياة ضنينة بالخير يا هذي الفتـــاة

بحر تعكر بالخلائق رجـع لجته الشكـــاة

وعلى شواطئه القلوب تئن من جرح أليـــم

تبكي العيون بكاء قلب خانه الحظ الوسيم

سارت الشاعرة وحدها في دروب الحياة كطير كسير ضل الطريق وهو يبحث عن أليف هجر عشه. تقول في قصيدة الهائمة[22]:

ومشيت وحدي في الطريق كأنني طير كسير

ضل الطريق فراح يبحث عن أليف أو عشير
وأنا الوحيدة في حمى هذا النهير المستكيــن
أبكي على رجع النــواح فمــا يرق ولا يليــن

ويبدو أن جميلة قد تأقلمت مع وحدتها وآلامها الذاتية التي يتداخل فيها الزمان والمكان وجعلتها عالماً لطيوفها التي تهمس بالسعادة و رضاها بهذه الوحدة، متخذة من الكتاب سميراً وأنيساً لها في وحدتها، إلا أن الشاعرة سرعان ما أبدت ضجرها وتبرمها، ورأت أنه لا فائدة منه غير تأريق المنام، وتشتيت الذهن، وتحصيل التعب، فكرهت تلك الكتب، بل وكرهت كل الصحاب، مما أزهدها في اللذائذ والطرب. فتقول في قصيدتها (خواطر الوحدة)[23]:

طال ليلي بين أشتــات الكتب***لــم يفدنــي ما حــوته من أدب
أذبلت زهري وأجرت مدمعــي ***ونفت نومي ولــم أدر السبب
فرقت ذهنــي فأضحــي شعبــا***ضل فكــري بين هاتيك الشعب
ضاع عمري ضله بين الـــــورى***لــم أحصـــل غير ألــوان التعب
قد كرهت الصحب لم أحفل بهم***و اجتوت نفسي لذاذات الطرب

لم تكن آلام الشاعرة جميلة نتاج عواطفها وتفكيرها الذاتي فحسب، بل كانت انعكاس لآلام شعبها ومعاناة الآخرين، ترجمتها نفسها الحساسة، تعبر الشاعرة عن ذلك في قصيدتها (يأس وأمل) فتقول[24]:

قد رأيت البائس المسكين يهفــو***فــوق آفــاق المنايــا والـفتــن
ليت شعري، أي فرد ليس يرجو***كـــل أمن من حياة كالمحن
قد شجاني ما تعانيه الأناســي***من عـــذاب وشقــاء ولغــوب
لهف نفسي أي خير في انتكاس***أي جدوى فـي حياة كالندوب
شقني الحزن الذي غشى الــورى***وأحال الكون عندي كالقتـــام
كلمــا جلـــت بعينــي كــي أرى***لم أجد إلا ظلاماً في ظــلام

وتتحدث جميلة في قصيدة (السجينة) عن الاضطهاد الذي تمارسه الحكومات ضد النابهين والمبدعين من جراء أفكارهم الحرة وآرائهم التي لا توافق هوى الرؤساء وكان نتيجة ذلك أن أبعدت إلى أسوان بعض الوقت، واضطرت بعدها لتقديم استقالتها من عملها، تقول في قصيدتها تلك[25]:

وتركت نفــسي طعمــة الأقــدار*** ووهبتها ما كان مــن أوطـــاري
ومشيت أخبط في الشعاب وحيدة ***من حيث تسلمني إلى الأخطـار
مالي ارتطمت بصخرها و وهادها***فغدوت كالظبي الضرير الساري

ويبدو أنها يئست من أن تبدل الأحوال وتحقق العدالة، فلم تعد ترجو عطفاً أو رحمة، وإنما تصبر غيرها وتحنو عليهم، فالظلم واقع من قديم، ولا أمل في تغييره تقول[26]:

يا صاح إني خير من يحنو عليك فلا تخف

سيان عندي من تبدي بالقساوة أو عطف

ماذا تؤمل من زمان ظالم منذ القدم

تمضي السنون الجاريات كأنها سيل العرم

وتقول الشاعرة مخاطبة قلبها ليرائف بها في قصيدة بعنوان أيها القلب والتي يمتزج فيها الحب بالشكوى والأنين[27]:

ألا أيها القلب الذي لج في الأسى ***حنانا لنفس قد جفتها الأضالع

حنانا لروح قد تحطم من بكاء ***دهته المآسي أو دهته الزعازع

و بعد أن يئست الشاعرة من عصرها وآلام شعبها لجأت الشاعرة إلى الطبيعة تبثها شكواها و آلامها وحزنها العميق، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائدها في الطبيعة من أصداء الألم و تمتمات الشكوى. فامتزجت بها في عدد من القصائد منها: قصيدتها (الهائمة) التي تتعاند مشاهدها، فالأعاصير والصخور تكيد لها ، والجبل الوقور يتداعى، والرمل تقسو عليه الرياح، والزوارق يطوحها الموج.تقول[28]:

كم رياح قد رمتها في يمين أو شمال

كم من رياح قذفتها في صعيد أو تلال

وتصدع الصخر المكلل للوهاد وللبطاح

هذه حصونك يا رمال وديعة الرب القدير

وفي قصيدة (الطير الشاكي) رأت الشاعرة في أغاني الطيور ذات الحزن والألم الذي تعاني منه فخاطبته قائلة[29]:

غنى يا طير واجهر بالنغم***واشد يا طير بمكنون الألم

واسكب الألحان في أذن الفضاء***عل في اللحن دواء للسقم

عل في اللحن نوالا للمنى***عل في اللحن شفاء للضرم

وتقول كذلك مخاطبة طيور الربيع في قصيدتها (طيور الربيع)[30]:

طيور الربيع ألا خبرينا***علام الغناء ومن تنشدينا؟

فقد هجت بالشجو منا القلوب***وأبكيت باللحن منا العيونا

تعالي نبدد غيوم الهموم **فإن الحزين يواسي الحزينا

وفي قصيدة (الطير الهائم) التي تتمنى الشاعرة لو أنها طير يهيم في فضاء الملكوت بين السحب وبنات السماء تقول[31]:

تعيش بدنيا النسيـــم العليل***نفتـــش عن مـــورد سلسبيـــل
وتخفق شوقاً بشتى السحاب***وفي الجو خير الرفاق الصحاب
فيا ليتنـــي مثل طير يهيـــم***يعيـش ويحيـــا بدنيـــا النعيـــم

وليست الطبيعة وحدها هي التي اكتست من هذه الآلام، فالحب هو الآخر لم ينج منها تقول في قصيدة (حب المحال)[32]:

لو أن أحزاني تطيع مدامعي ***لرأيت دمعي في القريض صبيبا
لو أن بحر الحب يأخذ مسرفاً***ماء المدامع ما شكوت سكـــوبا
لو أن ذاتك ما أروم وأبتغـي***من كل قلب ما رجوت حبيبـــا

وخلصت الشاعرة في ختام المطاف إلى خيالها والذي رأت فيه خير صديق وخير رفيق يقودها إلى بر الأمان والأحلام العذبة. تقول في قصيدة (خواطر الوحدة)[33]:

يا خيالي أنت لي خير رفيق***يا خيالي أنت لي البر الحـدب
يا خيالي أنت لي خير صديق***إن يكن عز الصديق المرتقب

ثم اتجهت الشاعرة إلى الله سبحانه وتعالى في قصيدتها (بيني وبين الله) ليخفف عنها ما تعاني من ألم وحسرة[34]:

شكوت إلى إلهي سوء حالي***وما عانيت من عنت الليالي
وكم عانيت من ألم ممـض***وكم قاسيت من محن طوالي
وكم صافيت كل فتاة غدر ***وكل فتى من الإحساس خال
فما أجدى حياتي كل هذا***وضاع العمر في طلب المحال

معجم الكلمات الدالة على الألم والشكوى.

استخدمت الشاعرة الكثير من الألفاظ التي استطاعت من خلالها أن تعبر عن ما تعانيه من آلام وأوجاع وتبثها لحناً شجياً. ويمكن تقسيمها إلى خمس مجموعات على النحو التالي:

أولاً: ألفاظ الحزن.

استخدمت جميلة عدة ألفاظ في هذه المجموعة تعود إلى عدة أصول وقد جاءت هذه الألفاظ في سياقات مختلفة اكتسب بعضها دلالات جديدة وبقي بعضها الأخر على دلالته المعجمية وهذه الأصول هي : (الحزن، الأسى، المآسي، الشجو) و اشتق من لفظ الحزن مشتقين هما (الحزين، أحزاني)

(الحزن): خلاف السرور، وحزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين[35]. وفي هذا المعنى، تقول الشاعرة[36]:

شقني الحزن الذي غشى الورى***وأحال الكون عندي كالقتام

واستخدمت الشاعرة كلمة (الحزن) هنا للدلالة على الهم المشبع باليأس استجابة لما يعتلج في نفسها من روح تشاؤمية.

واستخدمت الشاعرة من هذا الأصل مشتقات عدة منها (الحزين) تقول الشاعرة[37]:

تعالي نبدد غيوم الهموم***فإن الحزين يواسي الحزينا

كلمة (الحزين) هنا للدلالة على البؤساء التاعسين كما تدل على الهم والشجن.

وكما استخدمت كلمة أحزاني كجمع (الحزن) في قولها[38]:

ولو أن أحزاني تطيع مدامعي***لرأيت دمعي في القريض صبيبا

وذلك للدلالة على نفسها المتعبة المريرة.

واستخدمت الشاعرة كلمة: (الأسى) : الذي هو الحزن، وأسيته أي عزيته، و الإسوة والأسوة (بالكسر والضم لغتان)، وهي ما يأتسي به الحزين وجمعها مآسي أي أحزان[39]. يقال أسيت على الشيء آسي أسىً، أي حزنت عليه[40].

وذلك للدلالة على الحزن والألم والهم الذي لحق بقلب الشاعرة.

وتقول كذلك[41]:

ألا أيها القلب الذي لج في الأسى ***حنانا لنفس قد جفتها الأضالع

واستخدمت الشاعرة كلمة (الشجو): التي هي بمعنى الهم والحزن. ويقال : شجاه يشجوه شجواً، إذ أحزنه. وأشجاه يشجيه إشجاء، إذ أغصه، ورجل شج أي حزين[42].وقيل أشجاني: أي أحزنني وأغضبني[43]

تقول الشاعرة[44]:

فقد هجت بالشجو منا القلوب***وأبكيت باللحن منا العيونا

وقد استخدمت الشاعرة من هذا الأصل مشتق وهي كلمة (شجاني) تقول الشاعرة[45]:

قد شجاني ما تعانيه الأناسي***من عذاب وشقاء ولغوب

للدلالة على الألم الداخلي الذي تحس به بسبب ما يعانيه الناس من مصائب الحياة وفواجعها.

ثانيا: ألفاظ الألم.

استخدمت الشاعرة جميلة العلايلي لفظين في هذه المجموعة وهي: (الألم،ألم) واشتقت من لفظ (ألم) المشتق (أليم)، وقد جاءت هذه الألفاظ في سياقات مختلفة، اكتسب بعضها دلالات جديدة وبقى بعضها الآخر لدلالاته المعجمية.

(الألم): الوجع. وقد ألم يألم ألما. والتألم: التوجع[46]. تقول الشاعرة[47]:

غنـى يا طير واجهــر بالنغــم***واشد يا طير بمكنون الألــم

وتقول كذلك[48]:

وكم عانيت من ألم ممض***وكم قاسيت من محن طوالي

استخدمت الشاعرة من هذا الأصل مشتق واحد وهي كلمة (أليم) والأليم: الموجع. والإيلام: الإيجاع[49]. تقول الشاعرة[50]:

وعلى شواطئه القلوب تئن من جرح أليـــم

فكلمة (أليم) أكتسبت دلالة جديدة عبرت من خلالها عن ما تعانيه الشاعرة وما تعانيه القلوب المجروحة المكسورة من شدة الألم وقسوة الحياة.

ثالثا : ألفاظ الصوت المرتبطة بالحزن والألم

استخدمت جميلة عدة ألفاظ في هذه المجموعة تعود إلى ثلاثة أصول، وبقى بعضها الأخر على دلالته المعجمية وهذه الأصول هي: (تئن، أبكى،النواح) واشتق من كلمة (أبكى) ألفاظ أخرى هي (بكاء الذي استخدمت مرتين و أبكيت)

(تئن): أن يئن أنا وأنينا وأناناً وانة: تأوه. ورجل أنات وأنان وأننة: كثير الأنين، وقيل الأننة: الكثير الكلام، والبث والشكوى ولا يشق منه فعل[51].

تقول الشاعرة[52]:

وعلى شواطئه القلوب تئن من جرح أليـــم

ومن الفعل (أبكي) تقول[53]:

أبكي على رجع النــواح فمــا يرق ولا يليـــن

والذي اشتقت منها الشاعرة كلمة (بكاء).

و(بكاء) هو: البكاء يمد ويقصر، فإذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها، وأبكيته، إذا صنعت ما يبكيه. وباكيته فبكيته، إذ كنت أبكى منه. والبكّى: الكثير البكاء[54].

تقول الشاعرة:

تبكي العيون بكاء قلب خانه الحظ الوسيم

وكذلك قولها[55]:

حنانا لروح قد تحطـــم من بكـــاء ***دهته المآسي أو دهته الزعازع

واستخدمت كذلك المشتق (أبكيت) تقول[56]:

فقد هجت بالشجو منا القلوب***وأبكيت باللحن منا العيونـا

(النواح): هو التقابل. يقال الجبلان يتناوحان. ومن سميت النوائح، لأن بعضهن يقابل بغضا. وناحت المرأة تنوح نوحاً ونياحاً، والاسم النياحة. يقال كنا في مناحة فلان. وتنوح الشيئ تنوحاً إذ تحرك[57].

تقول الشاعرة[58]:

أبكي على رجع النـواح فمـا يرق ولا يليـــن

وقد جاءت هذه الألفاظ في سياقات مختلفة اكتسبت من خلالها دلالات جديدة وهي الألم والوجع والتأوه .

رابعا: ألفاظ الشكوى.

استخدمت جميلة لفظ واحد هو: شكى.

وقد استخدمت الشاعرة من الفعل شكى مشتقات عدة هي (الشكاة و شكوت (التي كررتها مرتين) و(الشكاة) : يقال شكا الرجل يشكو شكواً، وكذلك تشاكى القوم: شكا بعضهم إلى بعض، وشكوت فلاناً أشكوه شكوى وشكاية وشكاة إذا أخبرت عنه بسوء فعله بك، فهو مشكو ومشكي، بمعنى التوجع من شيء[59].

وقيل الشكاية والشكية: إظهار ما يصفك به غيرك من المكروه. و الاشتكاء إظهار ما بك من مكروه أو مرض ونحوه[60].

تقول الشاعرة[61]:

بحر تعكر بالخلائق رجـع لجته الشكـــاة

واستخدمت (شكوت) مرتين الأولى في قولها[62]:

لو أن بحر الحب يأخذ مسرفاً***ماء المدامع ما شكوت سكـوبا

والثانية في قولها[63]:

شكوت إلى إلهي سوء حالي***وما عانيت من عنت الليالي

وقد اكتسبت هذه المفردات دلالة جديدة هي التذمر من بؤس الحياة ومشقتها.

خامسا: ألفاظ التعب والشقاء.

استخدمت الشاعرة جميلة أربعة ألفاظ في هذه المجموعة، وقد جاءت هذه الألفاظ في سياقات مختلفة، اكتسب بعضها دلالات جديدة، وبقي البعض الآخر في إطار الدلالة المعجمية، وكان لهذه الألفاظ أربعة أصول هي: (التعب، عذاب، شقاء، لغوب).

كلمة (تعب): تعني الإعياء حيث يقال : تعب تعباً وهو تعب[64]، وكذلك التعب هو شدة العناء، ضد الراحة[65].

تقول الشاعرة[66]:

ضاع عمري ضله بين الــورى***لـم أحصـل غير ألــوان التعب

و (عذاب): العذاب هو العقوبة، وقد عذبته تعذيباً[67].

و (الشقاء) : المشقة والتعب.

ولغوب: اللغوب: التعب والإعياء[68].

وقد وردت هذه الألفاظ الثلاثة (عذاب، شقاء، لغوب) في قول الشاعرة[69]:

قد شجاني ما تعانيه الأناسي***من عذاب وشقاء و لغوب

وقد اتخذت هذه الكلمات دلالة جديدة وهي الإرهاق والعناء.

والجدير بالذكر أن الكلمات التي درست هنا هي كلمات استخدمتها الشاعرة لتعبر من خلالها عن ما تعانيه من ألم وحزن ، مع وجود مواضع أخرى للألفاظ نفسها إلا إنها لم تحمل دلالة الألم و الشكوى، لذا لم أتطرق لها في هذه الدراسة.

خــاتمة :

وفي خاتمة هذه الدراسة نوجز أبرز النتائج التي توصل لها الباحث.

1- شعر الألم والشكوى عند جميلة العلايلي لم يقتصر على مرحلة شعرية دون أخرى، ولا على حداثة سنها دون الكهولة، بل هو ذائع في طيات دواوينها المطبوعة جميعها وإن غلب الحديث عن آلام والشكوى والشعور بالوحدة في ديوانها صدى أحلامي.

2- رغم تأثر الشاعرة بمؤسس جماعة أبوللو أحمد زكي أبو شادي وبالأديبة مي زيادة، إلا أنه كان لها أسلوبها الخاص الذي يميزها عن غيرها.

3- تظهر بوضوح نبرة الحزن والشكوى في ديوان صدى أحلامي ، والتي تشكل انعكاساً واضحاً لمعاناة الشاعرة المتمثلة في فقدانها لوالدتها وزوجها وبعض إخوانها وأصفيائها.

4- يكثر التلون الدلالي في شعر جميلة العلايلي لاسيما ديوان صدى أحلامي، حيث يمكن تأويل اللفظ الواحد بمعاني عدة.

5- شكلت ألفاظ الحزن وأصوات الألم أعلى نسب الشيوع في الديوان، إذ تعكس هذه النسبة مدى الشعور بالحزن والوحدة التي كانت تعاني منها الشاعرة.

الهوامش:

1- المواطن.(2019): أنا الأبية لا أبغي مهادنة، 10 معلومات لا تعرفها عن جميلة العلايلي.

2- السويدات، حلا.(2021): الشاعرة المصرية جميلة العلايلي.

3- مندور،محمد(1955) :الشعر المصري بعد شوقي،مكتبة نهضة مصر، القاهرة، "د.ط". ص

4- العلايلي، جميلة.(1936): تصدير/أحمد زكي أبوشادي: ديوان صدى أحلامي، مطبعة التعاون، الإسكندرية، "د.ط"، المقدمة.

5- فلسطين، وديع.(1995): جميلة العلايلي.. شاعرة أبوللو التي همشوا تاريخها لصالح رجالات الأدب، الحياة اللندنية، العدد 11836، صفحة ثقافة وفنون، ص3.

6- حداد،محمد حسين. (2021): الشكوى والألم كمفهوم أدبي، صحيفة الرياض، الرياض، الصفحة الرئيسية.

7- الورقي، السعيد.(1983): لغة الشعر الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص297

8- عبدالرحمن ،عائشة.(1972): مع أبي العلاء في رحلة حياته، دار الكتاب العربي ، بيروت،ط1، ص92.

9- إسماعيل، عزالدين.(1978): الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، بيروت، ط3، ص350

10- عبد الصبور، صلاح.(1972): ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت، ط1، ص247-248

11- الشابي، أبوالقاسم.(1955): أغاني الحياة، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس، ط1، ص49

12- الأعكل، لطيفة.(2018): الشكوى والألم في الأدب، المغرب..

13- الجندي، أنور.(د.ت): أدب المرأة العربية،تطوره، وأعلامه، مطبعة الرسالة، القاهرة،"د.ط"، ص132

14- إسماعيل، عزالدين.(1978): الشعر العربي المعاصر ، ص351

15- العلايلي، جميلة.(1936): تصدير/أحمد زكي أبوشادي: ديوان صدى أحلامي، مطبعة التعاون، الإسكندرية، "د.ط"، المقدمة.

16- فتحي، آية.(2019): الريفية التي رفضت وأد عاطفتها، مصر العربية.

17- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص3

18- المصدر السابق: ص8

19- نفسه: ص9

20- نفسه: ص19

21- نفسه: ص22

22- نفسه: ص57-58

23- نفسه: ص104-105

24- نفسه: ص75

25- نفسه: ص9

26- نفسه: ص58

27- نفسه: ص121

28- نفسه: ص56

29- نفسه: ص66

30- نفسه: ص120

31- نفسه: ص41

32- نفسه: ص6

33- نفسه: ص103

34- نفسه: ص124

35- الجوهري، إسماعيل بن حماد.(د.ت): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، "د.ط" ،6/ 2098

36- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص75

37- المصدر السابق: ص120

38- نفسه: ص6

39- الجوهري، إسماعيل.(د.ت): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ص2268

40- ابن فارس، أحمد.(د.ت): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، "د.ط"، 106/1

41- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص121

42- الجوهري، إسماعيل.(د.ت): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، 2389/6

43- ابن منظور، محمد.(2003): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 28/8 28/8.

44- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص120

45- المصدر السابق: ص75

46- الجوهري، إسماعيل.(د.ت): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،1863/5

47- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص66

48- المصدر السابق: ص124

49- الجوهري، إسماعيل.(د.ت): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، 1863/5

50- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص22

51- ابن منظور، محمد.(2003): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 28/8.

52- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص22

53- المصدر السابق: ص58

54- الجوهري، إسماعيل.(د.ت): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، 2284/6

55- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص121

56- المصدر السابق: ص120

57- الجوهري، إسماعيل.(د.ت): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، 413/1-414

58- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص58

59- ابن فارس، إسماعيل.(د.ت): مقاييس اللغة، 207/3

60- ابن منظور، محمد.(2003): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2،122/8-123

61- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص22

62- المصدر السابق: ص6

63- نفسه: ص124

64- ابن فارس، إسماعيل.(د.ت): مقاييس اللغة، 348/1

65- ابن منظور، محمد.(2003): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 225/2

66- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص105

67- الجوهري، إسماعيل.(د.ت): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، 178/1

68- المصدر السابق: 220/1

69- العلايلي، جميلة.(1936): ديوان صدى أحلامي، ص75

قائمة المراجع:

1- ابن فارس، أحمد.(د.ت): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، "د.ط"، 348/1

2- ابن منظور، محمد.(2003): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 28/8

3- إسماعيل، عزالدين.(1978): الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، بيروت، ط3، .

4- الجندي، أنور.(د.ت): أدب المرأة العربية،تطوره، وأعلامه، مطبعة الرسالة، القاهرة،"د.ط".

5- الجوهري، إسماعيل.(د.ت): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، "د.ط".

6- الشابي، أبوالقاسم.(1955): أغاني الحياة، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس، ط1.

7- عبدالرحمن ،عائشة.(1972): مع أبي العلاء في رحلة حياته، دار الكتاب العربي ، بيروت،ط1 ص92

8- عبد الصبور، صلاح.(1972): ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت، ط1.

9- العلايلي،جميلة.(1936): تصدير/أحمد زكي أبوشادي: ديوان صدى أحلامي، مطبعة التعاون، الإسكندرية، "د.ط".

10- مندور،محمد(1955) :الشعر المصري بعد شوقي،مكتبة نهضة مصر، القاهرة، "د.ط".

11- الورقي، السعيد.(1983): لغة الشعر الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعارف، القاهرة، ط2.

مقالات على الانترنت:

1- الأعكل، لطيفة.(2018): الشكوى والألم في الأدب، المغرب.

2- السويدات، حلا.(2021): الشاعرة المصرية جميلة العلايلي.

3– فتحي، آية.(2019): الريفية التي رفضت وأد عاطفتها، مصر العربية.

4- المواطن.(2019): أنا الأبية لا أبغي مهادنة، 10 معلومات لا تعرفها عن جميلة العلايلي.

الدوريات:

1- حداد،محمد حسين. (2021): الشكوى والألم كمفهوم أدبي، صحيفة الرياض، الرياض.

2– فلسطين، وديع.(1995): جميلة العلايلي.. شاعرة أبوللو التي همشوا تاريخها لصالح رجالات الأدب، الحياة اللندنية، العدد 11836.